رحلة حاكم سورية العسكري العام ١

« ٦ »

نشرت على جريدة المقتبس ١ ربيع الثاني ١٣٣٧ الموافق ١٤ كانون الثاني ١٩١٩

زر النفس لا يود الاسى بدمائها | اذا اذكرت حيناً من الدهر ماضيا
انيطت به الويلات حتى اقمنا | على الخسف اياماً دجت ولياليا
قعد عن الذكرى التي تقرح محشا | وتهتك من خدر الجفون جواريا
وحبر على نيل الاماني قرنا تنا | لا اختلاف من فيهم احدث المراثيا
ابوان ياما والذل في عقر دارهم | فهبوا الى الهيجا اسوداً ضواريا
اصاخوا الى الداعي بلحنان مكة | ولبوا على بذل النفوس المناديا
تقاضوا الى الثأر مع شر عصبة | وقدما تجيد الباترات التقاضيا
بقيت امير العرب للعرب عصمة | ودمت لهم من حادث الدهر واقيا
فلولاك بعد الله ظلت بلادنا | وانفسنا سبياً لمن كان سابيا
لقد كنت قبل اليوم للعرب ناعيا | فاصبحت منذ اليوم بالعرب شاديا
وهاك الذي كانت دموعي تخطه | ويفنه صدري بما هي جاويا :
ليبك فخار العرب من كان باكيا | فلم يبق من اعلامه الدهر باقيا
خبا ذلك النور الذي كان ساطعا | وفل شبا السيف الذي كان ماضيا
وانقرض من احيائه كل آهل | واصبحت مغانيه طلولاً بواليا
ومن اعظم البلوى بذلك ان انت | على القوم احداث تشيب النواصيا
احلت ذراهم واستبيح حماهم | وسيموا هوناً سادة ومواليا
غدوا هدفاً من بعد عز ومنعة | ولا دافع يرميه من كان راميا
يساقون باسم الدين للموت عنوة | وهل كان الا منهم الدين ناشيا
فلم ينب حد مرت رواحل عمره | بستين عاماً واستزادت ثمانيا
نغص المرآة النواظر لحية | كأن ابا بكر ببرديه جاثيا

وابلج يستسقى الغمام بوجهه | كريم اذا ما الجدب القى المراسيا
واروع قد كنا بجنة رأيه | نرد سيوف الخطب عنا نوابيا
غدوا لحمة الاجناع تبلى وجوههم | وتضربها هوج الرياح سوافيا
لوت منهم الاسباب اسباب صلبهم | رؤساً من العلياء كانت رواسيا
وغلت ايديهم كبول وطالما | ببسطتها فكوا اسيراً وعانيا
مشوا للردى متبشرين كأنهم | من الرهم عايد الحياض ظواديا
الا اهل الى شبه الجزيرة نعيهم | ومن كان فيها برها وبما نيا
اولئك قوم لست تعدم منهم | على كل حال ناصراً او مواسيا
يعز عليهم ان رمى حادث الردى | باخوانهم والاقربين المراميا

...

ارى اك اجزت الحد في الحزن فاتئد | وقف على ندب الكرام البواكيا
فمن دونه هذا خضرم الدمع نافد | وقلبك مصدوع وان كان قاسيا
فسل هموم النفس عنك برحلة | تشاهد منار العرب باسم عاليا
وبادر لذاك الركب تلف امامه | سراجاً اذا ما الليل عسعس ساجيا
اجزت دمشق الشام بالركب مظهراً | فما بت الا في ذرى النبك ثاويا
وقلت لنضو من رخا في شأنه | لقد كان في حمل الصبابة ثانيا
على النبك قف نبك الربوع فانها | علالة محزون وخير مداويا

...

وسيارة تعلو مراجل صدرها | كأن بها داء من البث داويا
اذا صعدت انفاسها خلت والها | وانفاسه منه بلغن التراقيا
اقلت رحالي نحو حمص فخلتني | علوت بها وفداً من الريح سافيا

ولما نزلنا حمص يممت خالداً (١)   احيي به عهد الفتوحات زاهيا
اخالد لا تبأس فسيفك لم يزل   بايدي بنيك العرب يلمع فاريا
لئن فلت الايام غربه حقبة   فقد ارهفوا حديه بالدم جاريا
لبرهنك ان هبوا معيديه مجدهم   فقر بهم عيناً بلغت الامانيا
كذلك حييت ابن ليلى (٢) تحية   نثرت بها جماً تجدد فانيا
رعى الله حمصاً انها خير بلدة   وحيا الحيا منها الحمى والمغانيا
ترى من بنيها كل بش تخاله   من البشر ذا قربى وخلاً مصافيا
ولما قصدنا من حماة سبيلها   علونا متون الصافنات عواديا
وفي الركب ميمون النقيبة اروع   كفى بمحياه الى الركب هاديا
صليب قناة دونها كل غامز   وذو امره يمنع لها الدهر جانيا
ففي السلم مثل الام ترام طفلها   وفي الحرب مثل الليث يزأر عاويا
اقام على حكم المساواة امره   فاضحى به جيد المساواة حاليا
فمن حكمه موسى وعيسى واحمد   ومن هو من اتباعهم بات راضيا

...

واهم كالصبح المنير جبينه   وتنظر في جثمانه الليل داجيا
جرى بي وخيل الركب تعدو امامه   فخلفها من غير جهد ورائيا
يجدون سيراً زاجرين بخيلهم   ولن يدركوه من عنانيه ثانيا
هبطت به وادي حماة بسحرة   وكل جواد ظل خلفي كابيا
هنالك غصن المجد فينان باسق   وما نوره يوماً على الدهر ذاويا

---

(١) هو خالد بن الوليد رضي الله عنه تواترت الروايات على انه توفي في حمص وقبره في جامع عظيم بها
(٢) هو امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز توفي في دير سمعان وقبره يزار في ظاهر حمص
(٣) ورد ذكر بعلبك في معلقة عمرو بن كلثوم عند قوله (وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرينا

وفي حلب لما نزلنا بطاحها   شعرنا بمغناها نجوماً دراريا
فكل فتى من من آل يعرب ذاكر   زماناً وليلاً ان ينال العاليا
اهاب بها قومي فلبت نداءهم   ودان من الاتراك من كان عاصيا

...

وطيف للمياه العزيزة زارني   فثار من قومي وما كنت غافيا
بذلت له طيب الكرى عل وقفة   يعاودني فيها على ما عنانيا
فآب بقومي لا يصيخ لشكوتي   وخلى جراح القلب تدمى كما هيا
هيا طيف من كانت تكفكف مدمعي   وترقى زمان الكارثات لحاليا
ابلغني امها بالسلام رسالة   تكون لديها ان قضيت وصاتيا

...

برحت حمى الشهباء اذكر عهدها   الى بلد ما عهدها كنت ناسيا
وظلنا نجوب البيد شرقاً ومغرباً   ونهبط ودياناً ونعلو روابيا
الى ان بلغنا بعلبك ورفقتي   تريهم مغانيها من الشوق ما بيا
تحيي بها عمرو بن كلثوم (٣) كأسه   ونحن انتشينا اذ جلونا الاغانيا
وفي القلعة القوراء ذكرى وعبرة   لمن ومن ساد القرون الخواليا
عرتني لما شاهدت تالله دهشة   جرحت بميني عندها من شماليا
فماذا عناني ان اقول بوصفها   وما سامع مني كمن كان رائيا
وقفت حيال الهيكل الفخم برهة   ترد زواياه برجع كلاميا
وصعدت في آثار قومي (٢) زفرة   النت بها صم الصفاة السواريا
وعدت الى سيارتي مع صحابتي   فساورة تغذ السير كالبرق ساريا
ولما تبينا دمشق تهللت   وجوه عليها البشر اصبح باديا
فمن مشكف يستبيه خليطه   ومن قائل هذي وربي صحابيا
سلام على وادي دمشق فانه   موطن خلاني ومهوى فؤاديا